14 me année No. 675

lundi—10—6—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ رجب سنة ١٣٦٥ — ١٠ يونية سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

مصادفات فى الطريق

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعم هى مصادفات فى الطريق

ولكنه طريق التاريخ لا طريق المدنية ، أو طريق الزمان دون طريق المكان ، وقد يحدث فى هذه الطريق ما يحدث فى كل طريق من المصادفات والمناقضات ، فيعيش الناس فى حى واحد ولا يلتقون ، ويلتقون وهم يعيشون فى أحياء لا يجمعها مكان

أيذكر القارىء كيف يتفق له أن يقضى السنين ولا يلاقى فى خلالها وجهاً من الوجوه التى تعود النظر اليها ، ثم تعرض له فترة من الزمن فإذا هو يستقبل ذلك الوجه أمامه حيث سار على غير موعد وعلى غير انتظار ؟

ذلك ما حدث لى فى طريق التاريخ مع « عمر الخيام » خلال الأيام الماضيات ، فما فتحت كتابا إلا أطل منه « الخيام » بصفحة من صفحات وجهه أو جانب من جوانب نفسه ، على تعدد الموضوعات وتباعد المناسبات . إذ كان من تلك الكتب ما أفتحه للمراجعة العاجلة فى مسألة من مسائل التصوف أو مسائل السياسة أو مسائل الفلسفة أو مسائل الأدب وما إليه . وكنت مشغولا بالشيخ الرئيس ابن سينا فما تمددت لقاء الشيخ مرة إلا خرج لى الخيام فى بعض الطريق كأنهم يقيمون من عالم الأرواح فى عالم واحد ، أو كأنهم يحضرون معاً بدعوة واحدة على خلاف الآداب المصرية فى استجابة الدعوات .

تحدث العروضى السمرقندى فى « مقالاته الأربع » عن الفيلسوف ابن سينا وعن الفلكى عمر الخيام ، فروى عن كليهما الأعاجيب ، وكلاهما قد عاش زمناً فى إقليم واحد وإن تلاحقا بالزمان ...

وراجعت بعض الأقوال فى تناسخ الأرواح فرأيت أناساً ممن يدينون بهذا المذهب العجيب يعممون التناسخ ولا يقصرونه على الحيوان والإنسان ؛ فانتقال الروح من رجل إلى امرأة أو من رجل إلى رجل نسخ ، وانتقالها من إنسان إلى حيوان مسخ ، وانتقالها من إنسان إلى نبات فسخ ، وانتقالها من إنسان إلى جماد رسخ ... وما من انتقال منها كما رأيت إلا وهو على قافية الخاء ، دون غيرها من حروف ألف باء ، وهو حرف لا يوجد فى معظم اللغات الأوربية ولغات الأمم على الإجمال . فكيف تسعفهم القافية يا ترى فى تلك الأمم إذا احتاجوا إلى التقسيم والترتيب فى أطوار هذا الانتقال العجيب ؟ وما بال أصحاب التناسخ يا ترى قد فكروا فى انتقال روح الإنسان ولم يفكروا فى انتقال الروح من الجماد إلى النبات أو من النبات إلى الحيوان ؟

إنهم لم يفكروا فى ذلك ولكن فكر فيه على نحو غير هذا النحو جماعة من شعراء « التطور » القديم ومنهم جلال الدين الرومى الشاعر الفارسى المشهور . فعنده كما يقول : « إن الإنسان

فى بداية أمره قد ظهر فى عالم الجماد ، ثم ترقى من هذا العالم إلى عالم النبات ، ثم عاش هنالك شجرة من الشجر أو عشبة من العشب لا يذكر شيئاً مما كان فيه من تلك الحال المختلفة بين المعادن والحجارة الصماء ، وصعد من طبقة النبات إلى طبقة الحيوان فلم يبق فى ذاكرته أثر للطبقة التى كان فيها إلا ذلك الشوق الذى يميل به إلى الأوراق والأشجار ولا سيما فى إبان الربيع وازدهار الرياض ، كأنه الطفل الذى يهتدى إلى صدر أمه من حيث لا يدرى سر هذه الهداية ... وشاء الله بعد ذلك أن يرفعه من زمرة الحيوان الأعجم إلى صورة الإنسان حتى بلغ ما بلغه من القوة والعقل والمعرفة ، وما به من ذكر فى هذه الحال لعيشته الأولى ، وإنه ليترك فى مصيره الأبدى ، هذه العيشة التى هو فيها ... »

فهذا انتقال من الرسخ إلى الفسخ إلى المسخ إلى النسخ على العكس فى ترتيب التناسخ الذى يقول به التناسخيون ولا يقول به الصوفية المتطورون ! ...

والعجيب أن صاحبنا الخيام قد سلك بين هذه الزمرة وهذه الزمرة بشهادة أناس من الزمرتين ؛ فقيل فيه إنه من المؤمنين بالتناسخ كما قيل فيه إنه من المؤمنين بارتقاء الأرواح فى معراج الكمال إلى قدس الأقداس

زعموا أن الحكيم كان يتمشى مع مريديه عند مدرسة الحكمة والعلوم بمدينة نيسابور ، وكانوا يرمون بعض جدرانها وينقلون إليها اللبن والحجارة على ظهور الحمير . فأبى حمار منها أن يدخل دار المدرسة أى إباء ، وحاروا فى دفعه إلى الدار وهو مصر على الوقوف دون ذلك أشد الإصرار ، فلما رأى الحكيم ذلك منه تبسم ومال على أذنه يهمس بأبيات يقول فيها : أى هذا الذى ضل وعاد اليوم إلى مكانه وهو أضل سبيلا ! ... إن أظافرك قد تجمعت فصارت حافراً ، ولحيتك قد استدارت إلى موضع الذنب ، فانتقلت من الأمام إلى الوراء ... »

قالوا : فما سمع الحمار هذه الأبيات حتى عدل عن إبائه وأسلس قياده ودخل إلى الدار . وسأل التلاميذ أستاذهم عن سر ذلك الأباء وسر هذه الطاعة فقال : إن الحمار كان أستاذاً بهذه المدرسة فأبى أن يدخلها وهو دابة تحمل اللبن والحجارة وقد كان يدخلها وهو أستاذ يحمل الأسفار ... فلما عرف أننا عرفناه كان له بعض الأنس بهذه المعرفة فأطاع

والحمير والله مساكين مظاليم

إنما الحمير حقاً أولئك الذين تناولوا هذه القصة فشكوا فيها تارة وأثبتوها تارة أخرى ليتهموا الرجل بمذهب تناسخ الأرواح .

وتحضرنى هنا قصة الصحيفة الإنجليزية التى أعلنت عن معرض للحمير يقام فى حديقة هايد بارك بعد أيام ، وكان موعد المعرض المزعوم موافقاً لليوم الأول من شهر إبريل ، ولم يفطن له قراء الخبر إلا ساعة أصبحوا فى الحديقة ولم يروا هنالك حميراً ... فعلموا أنهم هم الحمير !

وما نحال الخيام إلا قد غلبه عفريت السخر فى تلك اللحظة فسخر بنفسه وسخر بمريديه ، وقال لهم إنهم كلهم يدخلون الدار ويحملون الأسفار !!

* * *

وشاءت المصادفات أن يصل البريد الأمريكى فى هذه الآونة وفيه طوفان من كتب الجيب التى طبعت قبل ذلك فى مختلف الأحجام بمختلف الأثمان

ومنها رباعيات الخيام

وهى على صغر الطبعة قد جمعت الصيغ المتعددة التى نقحها مترجم الرباعيات وأعاد تنقيحها فى كل طبعة جديدة من طبعاتها الكثيرة ...

ولا جرم يحتفل الأمريكيون بالرباعيات وهم يعيشون اليوم على مذهب الخيام ، ويخرجون لميادين الحرب قائداً يسمى «عمر» تيمناً بسيرة الشاعر الفيلسوف !

فقلت : الخيام . الخيام . الخيام .

أفى كل مكان يسنح لنا طيف الخيام فى هذه الأيام؟

وفتحت الصفحة على رباعية يقول فيها : « إن الكرم قد أنبتت عرقا يلتف به كل كيانى ... فدع الصوفى يسخر ما يشاء ، فإننى أسبك من معدنى الخسيس مفتاحا يفتح الباب الذى يطرقه ولا يجاب . »

وقلبت صفحة أخرى فرأيته يقول : « هذه الكرمة التى أنبتها الله ، من ذا الذى يعاف عصيرها ؟ وهذه العناقيد إن كانت شبكة من الشباك فمن ذا الذى وضعها هناك ؟ »

وفى صفحة أخرى يقول : « إلى الكون دخلت كالماء الدافق ولا أدرى لماذا . ومن الكون خرجت كالهواء الخافق ، فهل أدرى لماذا ؟ ... »

ومهما تقلب من صفحة فى الرباعيات فما تخليك هنا أو هناك من بعض هذا المعنى أو بعض ذاك

قلت والله لقد ظلموك يا صاح بالتصوف كما ظلموك بتناسخ الأرواح . وصدق مترجمك فتزجرالد وهو أدرى بترجمة نفسك وشعرك من أولئك الرواة والمؤرخين . فما كانت خمرتك بالخمرة الإلهية ، وما كانت عبارتك بالإشارات الخفية ، ولكنك كما قال المترجم الأمين كنت تنظم الشعر فى ماء المناقيد ، وكان نظمك فى معناه أكثر من شرابك إياه ... وذلك فصل المقال فيما بين قولك وعملك من الاتصال

* * *

وأعجب العجب أنى فتحت مجموعة من الرسائل الفلسفية لابن سينا وغيره فظهر لى الخيام بين دفتى تلك الرسائل يسألونه عن سر الوجود كله وهو حائر فى سر وجوده لا يعلم لماذا أقبل كالماء، وانصرف كالهواء.

سأله القاضى الإمام أبو نصر النسوى تلميذ ابن سينا « عن حكمة الخالق فى خلق العالم خصوصا الإنسان وتكليف الناس بالعبادات . »

فحاول الشيخ أن يروغ كعادته ولم يجد مهرب أمان ، ولا عذرا مقبولا للزوغان . وكيف يجهل ما يسألونه عنه وهو عندهم وعند أبناء زمنه جميعاً حجة الحق ، فيلسوف العالم ، نصرة الدين ، سيد حكماء المشرق والمغرب ، نادرة الزمان ؟ ...

على أن الرجل قد أجاب بما ليس يعدوه جواب ، فرجع إلى سبب الأسباب وهو واجب الوجود : ما من سبب إلا وله سبب إلا واجب الوجود فلا سبب لوجوده ولا لصفاته ... وإلا لزم التسلسل بالأسباب إلى غير انتهاء ، وهو فى عقل الإنسان مستحيل ...

والوجود فيض الجود الإلهى . فلماذا جاد بالوجود على المخلوقات ... ؟

الجواب أنه جاد لأنه جواد ، ولا تعليل لصفاته كما لا تعليل لذاته . لأن التعليل يرجع بنا إلى سبب وراء واجب الوجود ، ولا سبب هناك

ثم قال : « فإن قال قائل لم خلق المتضادات المتمانعة فى الوجود ؟ فيكون الجواب عنه أن الإمساك عن الخير الكثير من جهة لزوم شر قليل هو شر كثير ، والحكمة الكلية الحقة والجود الكلى الحق أعطيا جميع الموجودات كمالها الذاتى لها من غير أن يبخس حظ واحد منها . إلا أنها بحسب القرب والبعد متفاوتة فى الشرف ... لا لبخل من جهة الحق عز وجل ، بل لاقتضاء الحكمة السرمدية ذلك »

أجل هكذا يقول الخيام

ولو سمعه قراؤه المفتونون برباعياته من فتيان أمريكا وأوربة وفتياتها - لما صدقوا أن صاحبهم يسأل عن هذا ، ولا صدقوا إن سئل عنه أنه يجيب بغير الكلمة التى تلخص جميع الرباعيات .

من يدرى ؟! من يدرى أيها الناس ؟

والناس قد حيروه حقاً بين زاعم أنه ينكر الروح وزاعم أنه يثبتها للانسان والحيوان فى الحياة وبعد الممات ، وزاعم أنه يعلم سر الوجود كأنه من أصفياء مبدع الوجود .

وأخشى ما أخشاه أنى صرفت الحكيم الظريف بهذا المقال فلا ألقاه كما كنت ألقاه فى كل منعطف طريق من مكامن التاريخ ... !

عباس محمود العقاد

مجلس صريبة المغربية

يعلن عن توريد (١) عدد ٥٠٠ صفيحة بنزين سائل (٢) وجبة الغذاء مطبوخة لغلمان مؤسسة الأمير فاروق بالمحلة الكبرى . وتطلب الشروط على عرضحال دمغة مرفقاً به إذن يريد بمبلغ مائة مليم لكل مناقصة وتقدم العطاءات لغاية يوم ٢٧ (سبعة وعشرون) يونية ١٩٤٦ .

٥٤١٣